الفصل الثامن

الأساطير المندائية القديمة

obeikandl.com

obeikandl.com

قصة الأمة المندائية

راوي هذه القصة رجل دين مندائي من إيران قام بروايتها أمام الباحثة الإنكليزية الليدي دراور التي اهتمت بالديانة المندائية اهتماماً كبيراً منذ العشرينيات من القرن الماضي والتي جعلت من بحوثها عن هذه الديانة نبراساً أنار طريق الباحثين من بعدها وقد ترجمها أحد الباحثين المندائيين.

قوم آدم

كان الصابئة، وهم الأبناء الحقيقيون لآدم (بغرا) وحواء (كاسيا)، يعيشون في سيراندیب (سيلان) قبل ٢٥٠ ألف عام. وقضى الوباء عليهم جميعاً عدا زوجين هما رام ورود. وأصبح لهما أبناء وبنات تكاثروا بدورهم حتى كثروا أخيراً وكونوا العنصر البشري. ولكن بعد ١٥٠ ألف عام، وبأمر من (هيبل) زيوا، اندلعت ألسنة اللهب في الأرض كلها ونجا اثنان فقط وهما شوربي وشرهبيل. وكان لهما أبناء وبنات، وتكاثروا فأصبحوا شعباً مرة أخرى في سيراندیب. وبعد ١٠٠ ألف عام جاء أمر من بيت الحي إلى نوح، وذلك قبل ثلاثمائة عام من الفيضان، قائلاً "ابن فلكاً (كيوالا)، لأن العالم سوف تدمره المياه"، فجيء بخشب الصندل من جبل حرّان، وبُني الفلك بطول ثلاثين جاما(ذراع)، وعرض ثلاثين جاما، وارتفاع ثلاثين جاما. وسأل نوح عن آية فقيل له عند ظهور الأنجارا في التنور (والأنجارا هي براعم خضراء من القصب الغض) فستكون تلك هي الآية. وبعد مضي ثلاثمائة عام، كانت زوجة سام، وكنة نوح، تخرج القصب الملتهب من التنور، وكانت على وشك وضع خبزها فيه حين رأت في وسط النار، أنجارا خضراء نابتة، فقطعتها وأعطتها لنوح، وعندما نظر إليها بدأت روحه تتوثب في داخله.

الطوفان

جاء نوح بزوج من كل الحيوانات، حتى البرية منها، كالأسود والأرانب، ودفعهم داخل الفلك ودخل هو وكنته في الفلك. أما سام فكان في البرية يرعى

غنمه . فادلهمت السماء بالغيوم وظلت تمطر لاثني وأربعين يوماً وليلة، وهطل المطر من السماء وارتفع منسوب مياه الأرض. وساق سام أغنامه إلى الجبال لكنها غرقت مع كل الأشياء الحية الأخرى. استطاع سام أن يصل إلى الفلك، ولأنه كان مغلقاً صعد على سطحه، وهناك كان هيول زيوا يمنحه الأكل في أوقات الوجبات. وكان الفلك يترنح فوق الماء هنا وهناك لأحد عشر شهراً . ولم يكن هناك شيء سوى الماء، والشيء الوحيد المنظور فوق المياه كان الفلك . وكانت الجبال، والأوطان، والمدن كلها مغطاة . وأخيراً جاءت الرياح بالفلك بالقرب من مصر، وتوقف هناك. وعندما أدرك نوح بأن منسوب المياه قد انخفض أرسل الغراب قائلاً له "اذهب، وتجول طائراً، وائتني بأنباء الدنيا "، فطار الغراب، ولكن عندما رأى جثة تطوف فوق الماء نسي كلمات نوح وبدأ يأكل منها. وانتظر نوح، وأخيراً عندما لم يعد الغراب أطلق حمامة. وطارت فرأت الغراب يأكل من الجثة، وكذلك رأت شجرة زيتون خضراء تنمو فوق الماء، فأخذت غصناً منها في منقارها، وعادت إلى نوح ومنحته إياه . فقبّلها وفتح الباب وخرج من الفلك بصحبة كنته، ورأيا ساماً جالساً على سطح الفلك . فنادى نوح ابنه قائلاً "اهبط ! أنا أبوك وهذه هي زوجتك" فهبط سام وعانق زوجته ووالده، وشكر بيت الحي لسلامتهم وصحتهم. ثم خرج وبنى بيتاً من الطين ليعيشوا فيه، بينما ذهب نوح يتجول في الأرض ليستمتع بمشاهدها، يتمشى فيها ويستعيد صحته . وجاءت روهه فرأت نوحاً وادعت ظهور زوجته .

ألقت عليه التحية وقالت "أنا زوجتك أنهورايتا!" فأخذها وحبلت منه وأنجبت ثلاثة أبناء هم، **حام، ويام، ويافث** . وهؤلاء هم أسلاف العناصر البشرية،

فأصبح حام أباً للجنس الأسود

ويام أباً للأمم البيضاء وإبراهيم واليهود، ويافث أباً للغجر.

أما سام وزوجته أنهار فهم أسلاف المندائيين . وبعد مضي ستة آلاف عام بني البيت المقدس **القدس** .

موسى ضد المنداييين

وفي القدس أشركت روهة في ملكها موسى من بني إسرائيل . وكان موسى ضد المندائيين وظل يخاصمهم في مصر . وكانت لأردوان (أردبان) الملك المندائي رؤية، وسمع صوتاً قادماً من بيت الحي قائلاً: "قم واخرج من هذا المكان من أجل صحتك وراحتك" فقام وأخذ المندائيين معه وخرجوا من مصر، وجاءوا إلى البحر الذي انفلق تاركاً طريقاً تحفه جبال من المياه على الجانبين، وهكذا خرجوا من مصر . وبقي فروخ ملكا، شقيق أردوان ملكا، في مصر يحارب اليهود هناك حتى حاصروه وهزموه فهرب. وعندما رأى بأن طريق البحر ما زال مفتوحاً، ذهب هو وشعبه خلاله، ولكن عندما بلغوا منتصف البحر أطبقت عليهم جبال المياه فغرقوا جميعاً.

أما **أردوان ملكا** ومعه ستون ألفاً من المندائيين ظلوا يسافرون ويسافرون حتى وصلوا أخيراً إلى طور ماداي، وانفتح أمامهم الجبل، لأنه كان عالياً وكبيراً وصعب الاجتياز، فدخلوا عليه وذهبوا خلفه . فانغلق مرة أخرى. فقال هيبل زيوا إلى أردبان ملكا "ابق هنا مع المندائيين، ولن تدور عليك الاثنتا عشر (علامات البروج) والسبعة (كواكب)" . وطاردهم موسى، وعندما وصل طور ماداي لم يستطع الاستمرار فعاد وذهب إلى أورشليم .

رضع من حلمة الشجرة

وعاش اليهود هناك حتى أنجبت إينشبي يحيى (يوحنا المعمدان). وكان زكريا وإينشبي كلاهما قد تقدم بهما العمر الآن، فبعد أن شربت إينشوي الماء حبلت منه . ورأى أحد اليهود في منامه بأن زكريا سوف يصبح أباً، وأن ابنه سوف يصبح نبياً، وانتظروا ليقتلوا يحيى . **وبعد تسعة أشهر، وتسعة أسابيع، وتسع ساعات، وتسع دقائق،** أنجبت إينوشوي ابنها، فجاء أنوش ـ أثرا وأخذ الطفل وحمله إلى فرات ـ زيوا (وهو نهر في السماء توأم نهر الفرات في الأرض) ووضعه تحت شجرة كانت تحمل فاكهة تشبه حلمة الثدي . وكان يحيى يرضع من حليبها لثلاثين يوماً، وأرسل أنوش

ـ أثرا امرأة اسمها صوفان لوليثا لترعاه وفي يومه الحادي والثلاثين جاء أثرا ليعمده في نهر الأردن . وعلمه: أ ، ب، كَ، وأتاه بكتاب الأرواح (سيدرة أدنشماثا) ووضعه بين يديه، وعلمه أن يقرأه ويتلوه . وعلمه كل سبل بيت الحي . وعندما بلغ سن الواحد والعشرين جاء أثرا إلى يحيى ليجعله ترميدا . فعلموه جميع الطقوس الإيمانية وأمروه ليرافق أنوش ـ أثرا إلى أورشليم، ليصبح يحيى نبياً هناك . فجاءوا بسفينة (بيلوم) وسافرا كلاهما، وذهبا فجاءا عبر نهر الأردن إلى أورشليم .

أوصلته السفينة إلى أورشليم

وعند وصولهما هتف أنوش أثرا بصوت عال قائلاً : " إن كان في هذا المكان أحد قد أضاع طفلاً، دعه يأتي ويطالب بحقه!" . وسمعت خادمة إينشوي ذلك، ولاحظت الأوصاف فعادت إلى سيدتها حاملة الخبر، وقالت "إن عينيه تشبه عيني إينشوي، ووجهه يشبه وجه زكريا" . وكانت إينشوي قد بلغت الثمانين من العمر ولم تعد تحيض إلاَّ أنها كانت نظيفة وطاهرة . وكان زكريا أيضاً قد طعن في السن . وعندما قالت الخادمة "رأيت فتى يشبهكما يجلس على سفينة في النهر، قامت إينشوي، وفي أوج فرحتها سارت باتجاه النهر.

إنها والدتي

فجاءت إينشبي إلى يحيى في النهر، وأسرعت بالدخول في الماء حتى بلغ صدرها ثم إلى حلقها، فضمها يحيى إليه وقبَّلها . فوبخه أنوش أثرا قائلاً : "لماذا قبلت هذه المرأة ؟ هذا سلوك مرفوض، فلماذا فعلته؟" أجاب يحيى "عفوك سيدي، إنها والدتي، الحي، وضعني لتسعة أشهر في رحم هذه المرأة. وكنت أنام بخفة في رحمها، لأنني أحببتها . إنها أمي، ويتوق قلب كل ابن إلى والدته!" . فقال أنوش أثرا "نعم، هذا صحيح، فالرجل يجب أن يُكرِّم والديه!".

obeikandl.com

رفض ترك المدينة

وعندها دخل يحيى أورشليم . وكان يبرئ الأعمى والمريض، وجعل الكسيح يسير . ففضب الرهبان وجاءوا إلى يحيى وأمروه بأن يترك المدينة فوراً . رفض يحيى أن يذهب وتحداهم قائلاً : " ائتوا بالسيوف وقطّعوني إرباً ، تعالوا بالنار وأحرقوني، أو الماء فأغرقوني!" فرد عليه الرهبان "نحن نعلم أن السيوف لا تقطّعك، ولا النار تحرقك، ولا الماء يغرقك" وعندما بدأ يحيى بقراءة كتابه كنزا ربا ، نطقت عصافير الهواء تُمجِّد الحي، وفتحت الأسماك أفواهها تُعظِّم منادهيي.

الموتى يعودون إلى الحياة

حين يموت الصابئي لايوضع في صندوق كما يفعل المسيحيون بل يلف في "بانية" من البردي مما يشبه الحصير من القصب، ثم تفتل حبال من خوص النخيل وتلف بها البانية ثم يوضع جريد النخيل بين الحبال بحيث يستطيع أربعة رجال أتقياء، يسمون "حلالية" حمل الجنازة إلى القبر وهم ماسكون بتلك الجرائد من سعف النخيل. ولا يدفن الميت ليلاً ، فاذا مات وقت غروب الشمس أو بعد الظهر فإن دفنه سيكون في اليوم الثاني، وفي كل الأحوال، يجب أن تمضي ثلاث ساعات قبل أن يدفن الميت، ولعمل البانية والحبال التي يجب ان تفتل وهي جديدة، وإعداد جميع التحضيرات الأخرى، يكون مجموع ما يكفي لذلك ست ساعات. ودیننا يمنعنا من البكاء على الميت، فالبكاء يساعد الجن في الإساءة للموتى، والرجال عادة لايبكون، إلا أن النساء يبكين أحياناً على الموتى، وليس هذا أمراً مستحسناً ولكنهن يفعلن ذلك.

مات وعاد إلى الحياة

وكان يوجد في مدينة المحمرة صابئي يسمى بهرام، وكان مريضاً إلى درجة الموت، ولذلك ألبسوه "الرستة" ، ثم مات. كان الوقت حوالي العاشرة حين مات(ساعتين قبل غروب الشمس).

وجاء الطبيب ففحصه وقال إنه ميت. لقد كان ميتاً بصورة تامة. وجاء الصابئون بالقصب وعملوا البانية وغسلوه وأطبقوا عينيه إلا أنهم أرجأوا الدفن إلى اليوم الثاني، لان النهار كان على وشك الانتهاء. ووضعوا فوق الجثة غطاء أبيض شفافاً ثم وضعوا إلى جانبها مصباحاً مضيئاً، كما وضعوا سكيندولة والسكين المربوطة بها قبل أن يدفن الشخص، ويختم القبر بالسكيندولة من جهاته الأربع، ولكن إذا كان الميت عروساً أو امرأة ماتت أثر ولادة فتترك السكيندولة في إصبع الجثة. وهكذا هيأوا جثمان بهرام وحضر الأصدقاء ليحرسوه، فنحن لانترك الميت وحيداً. وكان لبهرام أبناء وبنات وزوجة وأم عجوز، كان يعيلهم جميعاً من حرفته كحداد. وحوالي الساعة الواحدة ليلاً جاءت والدته وهي تندب" أريد أن أرى ولدي" واقتربت منه وكشفت عن وجهه، فقال لها حراس الجثة" لماذا تكشفين عن وجهه؟" أجابت" إنه ولدي وأنا مشتاقة إليه". وانحنت فوقه وقبلته وقالت" أي بني من سيعين أولادك ويطعمهم؟ وماذا سافعل أنا....، سأتسول من باب إلى باب أسأل الصابئين العون، وهكذا سيفعل أبناؤك أيضاً". ومدت يديها وربتت على صدره صارخة "سيكون هذا الصدر تحت التراب. وارحمتاه!" وحين لمست الصدر احست بشيء من الحرارة، وخيل إليها أن نبضه يدق، فدعت الحراس قائلة "تعالوا، تعالوا، إن جسم ولدي ليس ببارد وإن به نبضاً يدق".

وجاء القوم إليه وتحسسوه وقالوا " أجل، حقاً إن به شيئاً من الحرارة" وبدأ قلب الرجل يدق بوهن أما عيناه فبقيتا مغلوقتين، ثم بدأ الجفنان ينفرجان بالتدريج، ومع ذلك فإن العينين بقيتا لبعض الوقت ثابتتين لاتتحركان، وكان الوقت منتصف الليل، وأخيرا بدأت عيناه تشعان حياة. فرحت أمه حين رأت ذلك وسرت سروراً بالغاً، ثم ذهبت فحلبت بقرة في ساحة البيت وسخنت الحليب، وجاءت به، ووضعت بضع قطرات منه في فمه بالملعقة، بدأ الرجل يبتلع، وبدأت يداه ورجلاه تتحرك تدريجياً، وعند شروق الشمس جلس معافى. قال الناس جميعاً" مات بهرام ثم عاد إلى الحياة مرة أخرى".

وجاء بعضهم إليه، وقالوا "لقد كنت ميتاً، ذهبت وعدت، فأخبرنا عن الطريق وماذا رأيت؟".

قال بهرام" إن أولئك الذين أخذوا روحي من جسدي كانوا مخطئين. فهم حين أتوا بي إلى" ابثاهيل"، في موضع الأرواح، نظر اليّ وقال لهم لقد أخطأتم، كان يجب أن تأتوا بروح البنت" زريفة" لهذا أعادوني بلطف وعادت روحي لتدخل جسدي".

وكانت زريفة ابنة للجيران، وفي اللحظة التي أخبرهم بهرام بهذا كانت هي بأتم صحة، ولم يخبرها أحد بما قال بهرام، ولكن في مساء ذلك اليوم توفيت فجأة بالرغم من أنها كانت بصحة جيدة.

حدث مثل هذا أكثر من مرة. فقد كانت عشيرة صابئية تسمى" البو زهرون" يسكنون بالحلفاية قرب العمارة، وكانوا يعتاشون من عمل الزوارق والمناجل والمساحي والفؤوس، والأدوات الأخرى التي يحتاجها الأعراب في تلك المناطق. ومن بين أفراد تلك العشيرة كان رجل قد توفي، إلا أنه عاد إلى الحياة مرة أخرى، كانوا قد قاموا بجميع مستلزمات الدفن قبل أن يعود إلى الحياة، وكان قد مضى على موته ست ساعات، وحين سألوا الرجل" أين كنت؟" قال" أخذوني باتجاه موضع الأرواح، ورأيت معي هناك سندال وتامول، وكانا في طريقهما إلى ابثاهيل، إلا أن ابثاهيل أمرني بالعودة لأني أخذت خطأ بدلاً من شخص آخر".

حين سمعوا ما قاله، أرسل صابئة ذلك المكان رسولاً إلى العمارة حيث كان يعيش تامول ليسألوا عن صحته فوجدوا أنه قد توفي، إلا أن سندال كان يعيش في إيران فارسلوا هناك برقية للاستفسار عن صحته، فكان الجواب أنه مات صباح يوم الأحد.

سأل الكهان الرجل الذي عاد إلى الحياة، عن هيئة أرواح الموتى فأجاب"إن سندال وتامول كانا كما لو أنهما حيان في الدنيا، وكانا يرتديان نفس الملابس التي يرتديانها في حياتهما اليومية، لقد كانا يظهران كما لو تراهما في المنام"(٢).

– في كتاب " كنزا ربا. القسم الشمالي في الفقرة الثالثة" تحث الروهة حواء على أن تندب ميتها آدم قائلة" من الذي هجرك، وأنت تجلسين هكذا يبكون هنا ولاتنتحبين؟" وتبدأ الروهة وجنياتها بالنحيب والبكاء على الميت، ويقتربن من حواء قائلات" إن صديقاتها يحتقرن امرأة شريفة لاترفع صوت النحيب على زوجها". بعد ذلك يظهر هيبل زيوا لحواء ويلومها على حماقتها وانخداعها بالكواكب، وحين

تحرضها الروهة ثانية على البكاء، ترفض ان تفعل ذلك وتقول" الحمد لك يا مناهي". والبكاء على الميت موجود بين النساء في العراق بصورة عامة فهن يصرخن صراخاً عالياً وقت وفاة الشخص فيأتي المجاورون لينوحوا معهن. (٢) وبسبب أن الاثنين كليهما قد ماتا، مع رغبتهما بالحياة، لهذا يتمسكان بالأرض ويعاودانها كأشباح مؤذية، فالسكندولة تمنعهما من إيذاء الآخرين. لاحظ التعاويذ البابلية عن أشباح النساء اللواتي متن في فراش الولادة، والفكرة الهندية من أنهن كائنات شريرة. إن عرب العراق ليست لديهم مثل هذه الخرافات، بالرغم من أن الباحث" دوتي" يقول إن النساء البدويات، يؤمن بأن نحيب البوم هو عبارة عن نحيب الأم التي ماتت أثر الولادة، وفي الحالات التي ذكرت توضع السكيندولة في إصبع العريس وتعلق في رقبة المرأة.

الرواي: هرمز بر انهر(هرمز ابن الملا خضر)

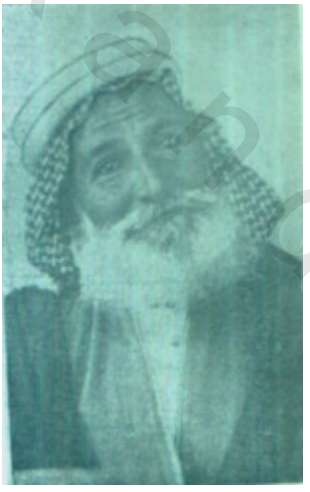

هرمز بن ملا خضر

قصة دينية منحائية

كان مندائيو شششتر يحبون أن يروا أفراد ملتهم أينما كانت ديارهم، وكانوا مغرمين بتتبع أخبارهم. وفي أحد الأيام جاء إلى شيشتر من بلاد المغرب درويش فسألوه ما إذا كان هناك مندائيون في بلادهم، وما إذا كانوا يقرأون كما نقرأ

نحن "صلوات وتعازيم". أجاب الدرويش" معي درويش آخر يعلم ذلك. إنه شيخ كبير السن جداً وخاطب الكنزفرا قائلاً ولأجلك سآتي به إلى هنا".

ثم ذهب الدرويش وعاد معه الشيخ الآخر. وحين عاد إلى المندائيين ومعه الدرويش الثاني لاحظ المندائيون أن نصف جسم الشيخ الأول كان أبيض والنصف الثاني أسود ، وأن نصف جبهته ونصف رأسه كانا أبيضي اللون وكان النصفان الآخران أسودين، النصف بالتمام.

جاء الدرويش كبير السن ووقف قبالة الكنزفرا وقال" إن قلبي جذلان الآن!". فسأله الكنزفرا: لماذا ذلك؟.

أجاب" أنتم من المندائيين، ولقد رأيت قومكم". لقد ميز المندائيين من أزيائهم ومن الرستات التي يلبسونها. من الهميانات التي يتمنطقون بها ، فهو كان قد شاهد المندائيين والناصورائيين في جبل" مادّاي أو مدّي- جبل المندائيين".

سأله الكنزفرا:" كيف تسنت لك رؤيتهم؟".

قص عليهم الدرويش القصة فقال." إنه كان منجماً يصحب الجيش التركي الذي يقوده وزير السلطان، وكان الجنود كثيري العدد ، ومعهم المدافع والبارود ، وكانت الأوامر تنص على الذهاب إلى جبل المندائيين وإعلان الإرادة بأن على المندائيين الخضوع للسلطان التركي، فإذا رفضوا ذلك كان على الجيش فتح النار على الجبل، وكان الوزير قائدهم قد نصح السلطان باتباع الوسائل السلمية أولاً، وإرسال مبعوث للتفاوض معهم أو مع زعمائهم. لقد قال للسلطان، "من الحكمة أن نتبع هذا الأسلوب أولاً إلى أن نعرف مقدار قوتهم".

وطبقاً للأوامر فهم حين وصولوا إلى الجبل، أرسل الوزير رسولاً وكان شخصاً ذا معرفة، للتفاوض مع الريشامة، وكان ذلك يوم أحد.

ذهب الرسول إلى الكنزفرا وتمنى له السلام، وجلس الاثنان، فقال المبعوث "لقد ورد إلينا أمر من السلطان أن تكون أنت وقومك من أتباعه وأن تؤدوا له الولاء". أجاب الريشامة": نحن لا نخضع للسلطان، إن خضوعنا لله وحده. ونحن لانطيع أمر أي إنسان، أو نكون تحت سيطرته." قال المبعوث": إذا لم تقبلوا بما عرضت عليكم، فسنطلق عليكم مدافعنا ونقتلكم".

اجاب الريشامة" لتطلق مدافعكم، وإننا سنهزمكم ولكن ليس عن طريق الحرب، فالسلطان لديه الجنود والمدافع، ونحن لا شيء لدينا، لا مدافع ولا سلاح. ومع ذلك فسنلحق بجيشه الهزيمة والخسران. من الخير لقائدكم أن ينسحب لئلا يهلك جنده".

عاد الرسول إلى القائد وقال: إنه يقول كذا وكذا. وتعجب القائد وقال" ماذا سيكون ما يقتلنا بلا حرب؟" وكان للكنزفرا ابنة وكانت له بناية مقدسة، وهي محل سري للعبادة فوق الجبل، إلى هناك ذهب وأخذ ابنته، فقد كانت له معرفة من معارف ليوت(دلبات أو فينوس) التي هي ملاك أنثوي تسكن في كوكب ليوث. وكانت الإبنة محببة جميلة بحيث إذا رآها إنسان تلاشى وأغمى عليه. وكانت تلبس تاجاً غاية في الجمال فوق جبينها، ويفوح منها عطر أخاذ بحيث كان من يشمه يفقد إحساسه ووعيه، وكان التاج من نور، وكان يوجد حكماء ولهم محلات يستقبلون فيها بنتاً أو ولداً ويقرأون له أو لها التعاويذ السرية، فتهبط فينوس على البنت أو الولد، وتجيب عن اسئلتهم وبهذا يتعلمون فيها معرفة كثيرة. وقد اعتاد الكنزفرا أن ياخذ ابنته إلى هذا الملجأ السري الذي كانت تهبط اليه ليوث، وضع الأب إناء زجاجياً مملوءاً بالماء أمام البنت قال لها" انظري". ثم بدأ بقراءة التعاويذ إلى أن احمر القدح ثم ابيض ثم ازرق، إلى أن اصبح كرة من نور. في تلك اللحظة تهب ريح عذبة على الفتاة فتنام وتدخل ليوث في أفكارها وتتحدث عن طريق فمها، وكان الكنزفرا ينهض ويقول لها "ليوث ساعدينا وتفضلي علينا!، إن جنود الترك قد جاءوا لإلحاق الضرر بنا وأنت تعلمين أننا لم نفعل لهم أي سوء". وأجابت ليوث" سأسبب لهم الهلاك، سوف لن يقدروا على إلحاق الضرر بكم ما دمنا في هذه الدنيا".

قال لها الكنزفرا" وماذا سنعمل ضدهم؟" أجابت ليوث" سافعل ما يمنعهم من رؤيتكم، ستظلم الدنيا أمامهم وسيعجزون عن الرؤية".

قال الكنزفرا "إن ذلك سيضرهم كثيراً، إنهم جنود مساكين وأناس فقراء، أنا لا أرغب بإلحاق الضرر بهم(لأن الناصورائيين أناس رحماء لا يرغبون بإلحاق الضرر بأحد). ولذلك سألها: "هل تقدرين على شيء آخر؟".

أجابت: "أقدر أن أجعل الماء يحيط بهم فبعجزون عن الحركة". قال الكنزفرا: "إذا أحاط بهم الماء فسيعجزون عن تناول الطعام وسيسجنون هناك ويهلكون، أسألك أن توحي إليهم بالخوف" أجابت ليوث": إن الإيحاء إليهم بالخوف هو بيد إبثاهيل والشفياهي، لأن ملك الظلام والشفياهي هم تحت إمرة إبثاهيل، اقرأ هذا الطلسم وسيرسل إبثاهيل روحاً تفعل لك ما أردت".

وجاء يوم الاحد وذهب الكنزفرا وتعمد في الماء وصلى واخذ طلسمه وذهب إلى معبده وبدأ يقرأ هناك، وظل يقرأ ويقرأ، حتى ظهر أمامه شيء يشبه النار، فتهيبه لكنه قال له" شلاما الأخ يا كنزفرا، شلام ادهي اهبيلخ"

(سلام عليك أيها الكنزفرا، ليكن سلام الحياة لك).

قال الكنزفرا: "إن هؤلاء الترك قد جاؤا للاضرار بنا، أسال منك، ومن إبثاهيل أن تلقوا الخوف في قلوبهم فقط، ليغادروا بلادنا دون إلحاق الضرر بأي أحد منهم". أجاب الملك الشفياهي" أستطيع أن أجلب لك ملكاً لكل جندي من الجيش التركي يقف بجانبه، وحين يحاول الجنود أن يطلقوا النار من مدافعهم أو من بنادقهم فسوف يدفعون إلى الخلف عاجزين، ولن يعرفوا السبب".

قال الكنزفرا: هذه طريقة جيدة لتخويفهم.

جمع الملك الشفياهي، واتخذ كل واحد مكانه بجانب الجنود الأتراك إلا أن زعيم الشفياهي جلس بجانب الكنزفرا فوق الجبل.

وصاح قائد الترك قائلا: "إلى المعركة، افتحوا النار عليهم واقتلوهم، إنهم لا يطيعيون إرادة السلطان فيجب أن يموتوا".

ولكن حين بدأ الجنود يطلقون النار أحس كل منهم أن شيئاً يدفع به إلى الأرض، فقد انكسر رأس أحدهم وذراع الآخر، فصرخوا" ماهذا" ودب فيهم الرعب ومعهم ضباطهم وقادتهم. قال القائد لمستشاره، وهو الرسول الذي كان قد أرسله للتفاوض مع المندائيين" ما الذي جعل الجنود يخرون إلى الأرض؟ لقد كانوا يسقطون على جميع الجبهات!".

قال" إن هؤلاء الناس دراويش، وهم أناس يعبدون الله، فيجب أن لا يسعى أحد إلى الإضرار بهم، ومن حاول ذلك فإن القوى التي يتسلمونها من الله عظيمة، تقتلنا جميعاً".

قال القائد" سنرجع إلى السلطان ونأتي بتعزيزات ونستمع لما يقول بهذا الشأن"، وكانت العادة في تلك الأيام، أنه إذا احتاج السلطان إلى جنود أجبر الناس على الدخول في الجيش.

ان ملك الجن الذي وقف بجانب الكنزفرا سمع ما قيل وبدأ يضحك عالياً. قال الكنزفرا" لماذا تضحك؟" قال الملك" أضحك على ذكاء الترك هؤلاء، إن إبثاهيل هو الذي يعطيك القوة بينما قوتهم بشرية فما أتفه قولهم". ثم قال" سأريك شيئاً مسلياً". قال الكنزفرا. حسناً. قال الآخر" غداً سيبدأون بالتراجع، ولكن سأفعل ما يعيقهم من التقدم للامام، جميعاً، قادة وجنوداً".

ابتسم الكنزفرا وقال" أود أن أرى هذا العمل".

وفي الصباح حاول الجيش أن يسير، وكان ملك الجن مع الكنزفرا يرقبانهم من فوق الجبل، ونظر الكنزفرا، وبدأ ملك الجن يقرأ تعاويذه همساً، فرأى الكنزفرا بريقاً من النور يهبط من السماء، ويتكاثف وينتشر في الهواء، ويمتد فوق الجنود، ومن معهم، وكلما كان الجنود الترك يحاولون السير، كان الخطو إلى الأمام يعجزهم، فكانوا مضطرين إلى الخطو إلى الخلف. صاح القائد" ماهذا اسرعوا" إلا أنهم لم يقدروا على ذلك وكان هو على نفس الحال أيضاً لايستطيع التحرك إلى الأمام. قال الضباط للقائد" سنموت جميعاً، فماذا نفعل، إن هذه نتيجة محاولتنا القتال مع المندائيين والناصورائيين الذين هم كالدراويش والذين يخافون الله، لماذا نحاصر هؤلاء الناس، ونريد إيذاءهم".

وكان مع القائد منجمون، يحسبون حساب النجوم ويتنبأون بالغيب، وكان مع أحدهم إناء يشبه مرآة تستطيع أن ترى فيها وجهك. كان الإناء أثرياً قديماً، وكان قد استخرج من باطن الأرض، وكانت عليه نقوش بأسماء ذات سلطة وقوة، وحين كان المنجم يمعن فيها النظر كان يرى ما يريد رؤيته. جلب المنجم الإناء ونظر فيه ليرى مجرى هذه الأحداث، إلا أن ذلك كان بصورة سرية، لأن القائد وسائر

المنجمين لم يعرفوا أنه يمتلك مثل هذا الإناء. تمعن المنجم في الإناء، فرأى الكنزفرا وملك الجن الذي سبب هذه الكوارث، جالسين فوق الجبل، وفي نفس الوقت أدرك ملك الجن بأن المنجم ينظر في إنائه فاخبر الكنزفرا قائلاً له: "إن لدى هذا المنجم إناء هو طلسم مندائي مع كتابات فوقه، وقد كان قد صنعه أجداد قدماء لكم". قال له الكنزفرا: "هاته لي، فهو يجب أن يعود لنا لا للترك".

كان المنجم لا يزال يتمعن بالإناء، وحين كان يفعل ذلك، حدث أن خر عليه شيء وخطف الإناء واختفى من أمامه كلية، فبدأ يصرخ وجاء الآخرون إليه مسرعين، قال المنجم" لقد كان لدي شيء أمامي، وهو أثر قديم، إلا أنه خطف مني ولا أرى من الذي فعل ذلك".

وناح وبكى، فقال له الضباط والجنود، " كيف حصل ذلك؟"

وظل المنجم باكياً عليه ليل نهار، فأشفق عليه الكنزفرا، فقد كان الإناء لا يقدر بثمن، فقال للروح" مر المنجم ليأتي إلى هنا، ودع الجنود يغادرون كل إلى أهله فهم يجب إلا يبقوا مسجونين هنا".

وحين جاء صاحب الإناء، ركع على يديه وركبتيه، لأنه قد رأى نوراً يحيط بالكنزفرا، نوراً كان يتخذ أحياناً شكل وجه إنسان أو شكل شخص. خاف المنجم فقال له الكنزفرا" لا تخف، إن الذي معي هو ملك الجان".

ثم قال له" من أين حصلت على هذا الإناء؟ إنه يخصنا وعليه كتاباتنا". أجاب المنجم" إن الإناء الذي تراه هو من جبل قوردون الذي يسميه العرب جبل قاف وهو من الجبال التي تحيط بالارض وهي واقعة في الشمال".

قال الكنزفره" وكيف حصل عليه الذين جلبوه إليك؟". أجاب المنجم" يوجد في تلك الجبال محل يتعذر بلوغه محاط بمستنقعات كثيفة، مملوءة بالقصب والشجر والحيوانات المفترسة، وقد حدث ان افتقر والدي الغني وارتاد هذا المكان المخيف قائلا" لتفترسني السباع والوحوش، فأنا الآن لا أبالي لأنني أصبحت معدماً". وكان له حمار يحمله في أسفاره، ولما اقترب الحمار من ذلك المكان رأى والدي ما ملأه رعباً، فقد رأى أفعى ضخمة تلتف حول لوح من الرخام الأسود، ورأسها منتصب

وعيناها تقدحان شرراً، وكان في منتصف اللوح أسد في هيئة تهديد، وبجانبه عقرب كبير وفوقه زنبار أكبر من الطائر".

ضحك الكنزفرا حين سمع ذلك لأن والد المنجم لم ير حيوانات ووحوشاً حقيقية، بل رأى سكيندولة، وهي مجموعة رموز طلسمية، فالافعى برأسها المرفوع تمثل أور التنين الهائل الذي تستقر فوقه الأرض، ورأسه مرتفع إلى إباثر، وعيناه المتقدتان هما من الماس، وهذا الرصد، والرموز قد صنعها المندائيون لتحافظ على كنز مدفون هناك، من الجان والعابثين الآخرين. لقد كان هذا الرصد قوياً بحيث لا يستطيع أحد الدنو من البقعة التي هو فيها، وسر الكنزفره كثيراً حين سمع هذا وقال " ساذهب إلى هناك".

واستمر المنجم قائلا" وغادر والدي المكان، إلا أن حماره تعثر بعارض اعترضه، فنزل من على ظهره، ورأى قسماً من جرة مطمورة في الأرض، فحفر وأخرجها وأزاح غطاءها فرأى فيها هذا الإناء، وسر سروراً عظيماً، فبواسطته كان يستطيع أن يستدعي الأرواح التي كانت ترشده للأشياء المفيدة، فادخر مالاً، وحين توفي ورثت أنا الإناء".

قال الكنزفره" إن هذا الإناء إناؤنا، وإن قومي هم الذين دونوا عليه الكتابة، ساحتفظ به وسأعطيك ما تريد عوضاً عنه".

أجاب المنجم" لا أريد مالاً عوضاً عنه، أعطوني ما أستطيع به من كسب قوتي، لأنني رجل درويش".

أعطاه الكنزفره مصباحاً معدنياً صغيراً، عليه نقوش وقال له" لهذا المصباح روح أليفة، فإذا احتجت إلى طعام أو إلى مال فسترى ملكاً صغيراً جالساً فيه سيجلب لك ما تريد، سأعطيك هذا عوضاً عن إنائك".

فرح المنجم وقال" هذا شيء حسن أيضاً".

كان المنجم هذا هو الدرويش الشيخ الذي جاء إلى شيشتر وأخبر الكنزفره أنه كان قد شاهد المندائيين. وحين قص المنجم قصته قال الكنزفره إنه يريد المصباح الذي أعطاه إياه كنزفره جبل المندائيين.

أجاب الدرويش الشيخ" إنه معي، ولكني لا أريد أن يراه أحد، فهو عزيز عليّ جدا" ولكن كنزفره شيشتر اقنعه بمعسول الكلام. وفي أحد الأيام جلبه معه، فرأى الكنزفره روحاً صغيرة داخله فسأل الروح" أين قومنا وفي أي بقعة؟" أجابت الروح" إنهم في جبل مداي" (يسمي العرب جبل المندائيين جبل مدي).

بعد ذلك سال الكنزفره الدرويش الآخر" كيف حدث أن أصبح نصف منك أسود والنصف الآخر أبيض؟" أجاب الدرويش الأول" أنا وزوجتي وأولادي الثلاثة وابنتي سكنا مرة البراري لصيد الحيوانات من أجل الغذاء، كالغزلان والخنازير البرية والطيور والأنواع الأخرى، وكان موضعي وخيمتي بعيدين قليلاً عن مواقع البدو، وفي إحدى الليالي حين كان القمر في ليلته الرابعة عشرة، خرجت للقنص فاصطدت ثلاثة غزلان أوثقتها بحبل قوي، وأتيت بها إلى خيمتي وعلقتها مربوطة إلى السقف وجلست هناك مع زوجتي وعائلتي، وخيل إلينا أننا رأينا شيئاً أسود في الخارج كان يقترب، ثم دخل فملأ باب الخيمة وكان رأسه، كما خيل إليّ، عريضاً وكبيراً، وكان بطنه هائلاً، وذراعاه ضخمتين، وكان على العموم يشبه الإنسان ما عدا أنه كان مغطى بشعر كثيف.

" وحين رأينا ذلك، ارتعبنا أنا وزوجتي وصرخنا" ماهذا!" نظر الوحش إلى الداخل وحين رأى الغزلان معلقة في السقف أمسك بها فانقطع الحبل وابتلع الغزلان الثلاثة مرة واحدة".

فر الاولاد رعباً إلى امهم، فقفز على أحدهم وابتلعه، ثم عمل بالثاني ما عمل بالأول، وكذلك فعل بالولد الثالث، ثم بعدهم التهم البنت، كانت زوجتي قد شلها الرعب فرأت شقاً في الخيمة، هربت من خلاله إلى الصحراء، فلحق بها الوحش، أما أنا وكنت صياداً ماهراً فقد أخفيت نفسي وأخرجت بندقيتي وملأتها بالرصاص وخرجت، وكانت السماء مقمرة، وكان من السهل رؤيتي، وحين رآني الوحش توجه نحوي فصوبت بندقيتي على جبهته وأطلقت النار، فصرخ الوحش صراخاً عالياً وقفز في الهواء وسقط على الأرض، أما أنا فقد سقطت كالميت إلى أن أشرقت الشمس.

" بعد ذلك، وقد وجدت نفسي لا أزال حياً، ذهبت افتش عن زوجتي وقد خشيت أن تكون قد قتلت، فتشت كثيراً، وأخيراً وجدتها ميتة في حفرة ومنذ اللحظة التي سمعت بها صراخ الوحش صرت كما تراني، نصف أبيض ونصف أسود." وحين رأى الله حالي جعل مني درويشاً، وحين التقيت مع هذا الدرويش الشيخ الذي سمعت قصته قال لي" يا بني ابتعد عن قتل الحيوانات، فقتل الحيوانات شيء رديء، لا تفعل ذلك بعد، فالله قد خلق لنا القمح والحبوب والخضر فلماذا نقتل الحيوانات(٥) إنها خطيئة عظمى" بعد ذلك أعطاني الدرويش نقوداً وأبقاني معه".

وحين رأى كنزفره شيشتر الكتابة على المصباح قرأها، مع ان الدرويش الشيخ لم يقدر على ذلك. كان اسم الروح منقوشاً عليه" فارور" قرأها وحفظها عن ظهر قلب، ثم صنع لنفسه إناء وكتب طلسماً عليه. وكانت الروح تأتيه حين يدعوها، فوجد الكنزفره ذلك مفيداً له لأن" فارور" كان يأتيه بما يحتاج إليه، حتى الأولاد إذا كانوا يسلكون سلوكاً سيئاً كان يهددهم به فينصاعون لأمره.

والآن أخذ الكنزفره يفكر كثيراً في جبل المندائيين ورغب في الذهاب إليه، وهكذا أعد لنفسه هو وسبعة آخرون، بينهم أربعة من اقربائي وأنا للسفر للجبل، وسرنا إلى أن اقتربنا من سوريا حيث استخدمنا كصاغة من قبل ملك تلك الأقاليم، هناك صادفنا درويشاً كان من بين أولئك الذين ذهبوا إلى جبل المداي مع الترك، ولكن حين توجهنا إلى الجبل لم نجده. واستمررنا على هذه الحال من التفتيش ثلاثة أشهر إلا أننا لم نعثر على الجبل.

ملاحظات حول القصة

١- الحرب والقتل ضد العقائد المندائية. فالعقوبة في الأساطير المندائية لا تكون بالقتل مالم يكن بأمر من السماء، وحتى في مثل هذه الحالة تكون قوى النور رؤوفة رحيمة لإنقاذ حياة العدو.

٢- ليبات(فينوس) يقال إنها موحية لجميع الاختراعات، وإن عبادة ليبات محرمة حسب نصوص الكتب المقدسة عندهم، وفي وصف المطهر(كنزاربا يسار، القسم الرابع) يخصص وصفاً لبيت طهارة لأولئك" الذين يدخلون بيت تموز ويمكثون هناك

ثمانية وعشرين يوماً، يجزرون الخراف ويمزجون الكؤوس ويقدمون الخبز ويجلسون ينـدبون في بيـت ليبـات" مـبرهنين علـى أن الكتـاب حـين كتـب كانـت احتمـالات- أدونيس- فينوس- لاتزال موجودة، وهنـا إشـارة إلى عبـادة فينـوس في الكتـاب التاسـع مـن القسـم الـيمين مـن الكنزاربـا. إنـه رفـض لعبـادة الكواكـب. وشـجب قـام بـه المصلحون من الكهان للقضاء على اعتقادات قديمة.

٣- الأواني الطلسمية شائعة في العـراق، ويكـون الإنـاء عـادة مـن نحـاس أو فضـة وفي بعض الأحيان له ارتفاع في مركز قاعه(على ذلك المحل تقع انظار المتفرس فيه) وتنقش على الإناء كتابات سحرية مقدسة، وللكتابات المندائية، كما يعتقدون، ميـزة خاصـة وصـفات سـحرية، والمـاء الـذي يشـرب بهـذه الأوانـي يكـون مـاء شـافياً، كما يعتقدون.

٤- إن هذه القصة توضح فكرة المندائيين في قتل الحيوانات. وكتاب الكنزربا متناقض في هـذا الشـأن، فـالفقرة الرابعـة مـن الكتـاب الثالـث مـن" كنزربـا يمـين" يحدد حيوانات معينة باعتبارها حيوانات محللة للذبح " الطيـور الطـائرة وسمـك النهـر" ويحرم أي حيوان لا يذبح بآلة حديدية وأي وحش يقتل بواسطة وحش آخـر. وهنـاك في كنزه ربا مكتوب أيضاً" لا تأكل الحيوان... كل لحـم الحيوانـات الـتي هـي فاكهـة الماء (السمك)".

ويذكـر جوزيفوس بأن الأسينيين كانوا نباتيين ويقتبس(بروفيري) من (إيبـولس) أن المجوس كانوا يقسمون إلى ثلاث طبقات، طبقة تمتنـع عـن أكـل لحـم أي مخلـوق حـي، وطبقـة تمتنـع عـن أكـل لحـوم الحيوانـات الداجنـة، وطبقـة ثالثـة لا تمـس أي حيـوان، وأمـا محاولـة(برفيسـور لوسـيوس) تفنيـد ادعـاءات جوزيفـوس حـول الأسـنيين فليست مقنعة.

كيف صبأت ابنة نبوخذ نصر

عن كتاب أساطير وحكايات شعبية صابئية ننقل هذه الحكاية الدينية المتوارثة ... بحيث يتعين على كل مندائي أن يلتزم بالقواعد والقيم التي ترد في هذه الحكايات الدينية القديمة.

تقول الحكاية:

في يوم من الأيام كان المندائيون والناصورائيون والترميذي يسكنون في القدس. وكان للناصورائيين مكانهم الخاص بهم، وهو بناء كانوا يتعبدون ويمارسون طقوسهم فيه، وكان بناء منعزلاً بحيث لايستطيع أحد أن يطلع عليهم ولا أن يدخل إليه. وفي أحد الأيام ذهبت ابنة نبوخذ نصر ملك بابل(وكانت يهودية) إلى القدس واستأجرت لها داراً تجاور البناء العائد للناصورائيين، وفتحت الفتاة فتحة في جدار دارها، وغطتها بشيء شفاف، بحيث تستطيع أن ترى وتسمع من خلاله ما كان يقال، وماكان يقرأ. وهكذا تعلمت الفتاة العقيدة السرية. لقد كانت مثقفة غاية الثقافة، سريعة الفهم والإدراك، وقد لازمت الفتحة صباحاً وظهراً ومساء مصغية ودارسة، حتى بلغت درجة فهم ما كانوا يقرأون وعرفت علومهم السرية، وحفظت كتبهم عن ظهر قلب. وحين كانوا يقرأون في كتاب " الكنزه ربه" كانت تسجل وتدون ما كانوا يقرأون وإلى أن تعلمت وفهمت كل شيء. وقد بقيت الفتاة في القدس تتابع الدرس ولم ترجع إلى أهلها.

وكان للناصورائيين علم سري يتلونه بتؤدة، وبهمس، وتصادف ممارسة هذا النوع من العلم اليومين الأول والخامس من أيام الأسبوع(الأحد والخميس). وحين خيّل لها أنها رأت حين كانوا ينشغلون في هذه التلاوة السرية أن ضياء قد هبط فغشيهم، وهو يغدو ويروح، بينهم وبين السماء.

وفي أحد الأيام تخلف أحد الناصورائيين في حين خرج الآخرون بعد صلواتهم ليمتعوا أنفسهم في الحديقة، أخذ الرجل ذلك الكتاب السري المحتوي على الطقوس التي كانوا يهمسون بها همساً وشرع يقرأها بصوت عال وكانت الفتاة قريبة منه تصغي إليه فدونت ما سمعت من هذه الطقوس السرية، كانوا يتخاطبون مع عالم

الأنوار: مع آدم كسيه(آدم الخفي) في مشوني كشطه، ومع الأرواح النورانية. فنحن نقول إن هناك آدمين، آدم بغرا أي آدم الطبيعي وآدم الخفي(آدم كسيه) والذي هو في مشوني كشطه وسكان مشوني كشطه أنقياء كاملون ولايراهم إلا التقي الكامل. إنهم يتحادثون بحرية مع الأثري والملكي.

وحين تعلمت الأميرة هذا العلم كانت سعيدة جداً، ومبتهجة غاية الابتهاج وبدأت تراقبهم في اليوم الأول وتفعل ما كانوا يفعلونه إلا أنهم كانوا يجهلون ما كانت تصنع، لأنها كانت في مخبئها، وفي اليوم الخامس، كذلك قامت بفعل ما كانوا يفعلون، وتابعت تلاواتهم بدقة تامة.

وكان لها معبد في دارها يشبه مكانهم بكل تفاصيله وقد أبقته مغلقاً وخفياً، وهكذا لم يعلم أحد من قومها ما كان يجري هناك حين كان هذا العمل يحدث، رأت في يوم أحد، نوراً يهبط من عل ويسقط على وجهها، فسرت وابتهجت وتحدثت إلى النور، لا بالألفاظ، فالنور قد تغلغل في تفكيرها، صاحت الفتاة" سأذهب إليهم في مكانهم، سأرى العالم الآخر، أريد أن أرى بعيني" قال لها النور" اذهبي إلى الناصورائيين، وسيدلونك على الطريق".

وفي أول يوم من أيام العيد ذي الايام الخمسة" بارونايا" نهضت من مكانها وذهبت إلى الناصورائيين، تناولت الكنزربه وبدأت تقرأ، فأخذتهم الدهشة وقالوا" أتكون هذه الفتاة ناصورائية؟" وأخذوا يتحدثون فيما بينهم قائلين" لابد أن يكون الله هو الذي منحها هذا العلم. فمن غيره كان معلمها؟".

قالت لهم الأميرة" عمّدوني واجعلوني مندائية" وحين علم اليهود بتحولها، هجموا على المندائيين وأحدثوا فتنة وشغباً. وذهب كهان اليهود وشيوخهم وعلماؤهم إليها وتناقشوا معها قائلين" سيحدث من جراء عملك هذا قتل وقتال، فيجب أن تعودي إلى مكانك الخاص وأن تتزوجي هناك".

قالت لهم الفتاة" لست مضطرة على فعل ذلك ولاداعي للقتل والقتال بسببي، ولست أبغي زوجاً، ولا أريد مالاً، ولا نفوذاً ولا زواجاً. أرغب فقط أن أخدم الله كلية".

قالوا لها" اتركي الناصورائيين"

أجابت" سوف لا أترك الناصورائيين، فليست لديكم المعرفة التي لديهم".
(كانت هذا الفتاة ابنة نبوخذ نصر وكان ملكاً على بابل، وكان يهودياً، وأخيراً ترك مملكته وصار ناصورائياً، فاستولى الآشوريون على المملكة، وطردوا منها البابليين)

أجابها الكهان" سنقتلهم جميعاً أو نتعلم منهم"

قالت" لاتكونوا حمقى فأنتم لاتقدرون على قتلهم وتعلم أسرارهم، فإذا فعلتم ذلك فسيعاقبكم الله".

تجمع اليهود بسلاحهم وأرادوا سحبها وإخراجها عنوة.

قال لهم الناصورائيون" لقد جاءت فتاتكم إلينا بإرادتها ولم نجبرها على ذلك فخذوها واذهبوا".

ولكن الأميرة لم توافق على الذهاب مع اليهود وحين حاولوا إجبارها بدأت تقرأ العقيدة السرية، فكانوا كلما اقتربوا منها تضيق أنفاسهم بوسائل مجهولة فبدأوا يخافون وحاول بعضهم الفتك بالمندائيين. نهض الناصورائيون وبالقوة التي لهم في يوم الأحد تحدثوا إلى الأرواح (الملكي) الذين قالوا لهم" اذهبوا إلى جبل مندائي". استعد كثير من الناصورائيين والمندائيين، بعد أن كانوا قد هيأوا أنفسهم للرحيل بقيادة الناصورائيين، وقد منحوا من القوة بحيث كانت مسيرتهم في يوم تعادل مسيرة أربعين يوماً. وكانوا في كل يوم يبذرون الذرة التي كانت تنمو وتحصد بقدرة الله ولهذا لم يعرفوا الجوع. وسافروا أربعين يوماً وكل يوم بأربعين يوماً إلى أن وصلوا بسهولة وسرعة إلى جبل المندائيين حيث كانوا سعداء آمنين ومستمتعين بذلك الجو اللطيف، لقد كانوا قادرين على أداء صلواتهم وعلى العيش بلا قلق، وكانوا يقولون" لقد أنقذنا الله من أولئك القوم".

وتبعهم بعض اليهود وحين قطعوا في رحلتهم أربعين يوماً رأوا الذرة الخضراء وعلامات مخيم النار فقالوا، "الآن سنقبض عليهم، وسنلحق بهم، لابد أن يكونوا قريبين من هنا" إلا أنهم لم يلحقوا بهم. وأخيراً وبعد أيام كثيرة اقترب اليهود من جبل المندائي حيث كان المندائيون يعيشون ومعهم ابنة ملك بابل التي صنعت لنفسها مكاناً تقدر أن تتعبد فيه كالناصورائيين.

وحين كان اليهود على مقربة من الجبل نزل ضوء كالسيف من العلى واعترض سبيلهم فكان كل ما تقدم واحد منهم قضى نحبه.

تشاور الكهان فيما بينهم وقالوا" لا مفر لنا، يجب أن نعود" وهكذا عادوا إلى بلادهم حزينين مكسوفين".

وقد بقي بعض الناصورائيين في القدس ولم يسافروا مع الآخرين فجاء اليهود وألقوا عليهم القبض. قال لهم الناصورائيون" ماذا تريدون؟" أجاب اليهود، نريد معرفة علمكم السري. علمونا وسوف لانقتلكم".

أجاب الناصورائيون" ليس لدينا علم سري".

قال اليهود" علمونا، أليس ذلك خيراً من الموت؟".

أجاب الناصورائيون" لايوجد لدينا علم سري، فكيف نعلمكم وليس لنا أي علم سري".

قتل اليهود واحداً من الناصورائيين ثم ثانياً، وكانوا يرددون دائماً علمونا معنى عقيدتكم أو ستموتون جميعاً كهؤلاء"؟

إلا أن الناصورائيين استمروا على الرفض قائلين" اقتلونا إن شئتم فليس لدينا أي علم سري".

قتل اليهود الناصورائيين جميعاً ولم يتعلموا شيئاً من علمهم. بعد ذلك ذهب اليهود إلى هيكلهم المقدس واجتمعوا هناك. كانت قلوبهم وجلة وهم يعلمون بأنهم قد قتلوا أولئك الناس خطأ. وفي الصباح رأوا طائراً أبيض يحوم فوق الهيكل، نظر الجميع إلى الطائر، وحين كانوا ينظرون نزلت نار من السماء فأحرقت جميع أولئك الذين أوقعوا بالناصورائيين وقتلوهم، وفرّ الباقون من اليهود إلى الصحراء وهم في هلع عظيم وكانت، النار شديدة بحيث نفذت إلى عمق اثنى عشر فرسخاً في الأرض.

هرب بعض اليهود إلى أن وصلوا بابل، قال الملك نبوخذ نصر للربيين والكوهينيين" لماذا فعلتم ذلك؟ لماذا قتلتم أولئك الناس بلاحق؟" أجابوا" لقد كانت الفتاة ابنتك وما كان غضبنا إلا من أجلك" قال لهم" هل ذهبت ابنتي لأنها قد أحبت رجلاً منهم؟" فأجابوه بالنفي. فسألهم" ماذا كانت غايتها إذن، ولماذا ذهبت معهم؟"

قالوا" لدى الناصورائيين عقيدة سرية وهذا كان السبب" أجاب الملك" أنا نفسي واتباعي سنلحق بهم أيضاً".

غادر الملك وحكماء مملكته المملكة وذهبوا إلى جبل المندائيين، وبعد ذلك التحق هو وحكماء قومه بالصابئيين وأصبحوا مندائيين وتعلم الملك العقيدة السرية من ابنته.

ومن ذلك الوقت ولسلوكهم الشرير لم يملّك أي ملك يهودي(كلداني) في بابل. إن من يريد اللّه أن يعلمه يمكنه من تعلم عقيدته مهما كانت سرية.

تحليل القصة

هذه الأسطورة ممتعة لأنها تربط قسم مريم في كتاب" دراشة اد يهيا" بقسم آخر عن مريم في كتاب الصلوات اليومية الأسبوعية وقصة" الناس في جبل مدّاي في كتاب حران كويثا".

إن العبارات في دراشا اديهيا تحكي بصيغة الشخص المتكلم. فمريم تتحدث عن قصة تحولها(بواسطة أختها الروحية في مشوني كشطة) وعن هربها إلى الفرات الأدنى، وتبدأ هكذا" أنا مريم ابنة ملوك بابل، وابنة حاكم القدس القوي، اليهوطابي(الكلدان واليهود)(انظر الملاحظات السابقة) ولدوني والكهان ربوني، وليس هناك ذكر لبختصر. وتقص مريم كيف أن والديها منعاها من مغادرة ملجئها في غرفتها أو الخروج إلى الطرق العامة، ولكنها تعصي أمرهم" لقد فتحت الباب الداخلية وتركت الباب الخارجية مفتوحة على مصراعيها. خرجت إلى الطريق العام، فسقطت فوقي، شموس ربي. أردت أن أذهب إلى الهيكل(بيت امه) إلا أن قدميّ قادتني إلى بيت مشخنه(اي بيت العبادة للمندائيين). دخلت إلى هناك فوجدت إخوتي جالسين يتلقون الدروس(اردش دراشي). وغلبها النعاس ونامت وهي تصغي إلى اصواتهم" لكن أتت اليّ اختي من مشوني كشطه وأيقظتني وقالت لي انهضي، انهضي يا مريم، قبل أن يبزغ الصباح ويصيح ديك الفجر، قبل أن ترسل الشمس أشعتها فوق العالم، قبل أن يذهب الكهان وأولاد الكهان ويقبعوا في ظلال خرائب القدس وقبل أن يأتي أبوك الدنيوي وينزل على رأسك الكارثة". يكتشف أبوها أمرها ويتهمها بالسلوك السيء. فتطلب إليه أن يتركها وشأنها،

ويتهمها بنبذ اليهودية وخروجها عن محبة ربها. إلا أن مريم ترفض أن تشجب عقيدتها الجديدة. بل إنها تشتم اليهودية والكهان. وتنقلب القصة هنا إلى رموز، فمريم تشبه بكرمة تحمي الطيور من العاصفة. وتوجد إشارة ولكن ليس وصفاً، لفرار مريم إلى الفرات الأدنى، وعلم يرفرف فوق رأسها وكتاب موضوع في حجرها" تقرأ في كتاب الكشطة فتهز العوالم بأجمعها. في يدها صولجان الماء الحي "مركنة" ويحيط بخصرها الزنار(همیانة) تصلي وتتسجد فتجتمع الطيور والأسماك لتصغي إليها، تطير وتتجمع نحو صوت مريم وليست لها من رغبة لأن تحط وتغفو، إنها تستروح عطر وجودها وتنسى العالم.".

وتدعوها أمها مشوقة اياها بمسقط رأسها مذكرة إياها، كم كانت مشرقة في القدس وتطلب إليها" انسي هذا الرجل الذي أسرك وخرج بك" وترفض مريم، بازدراء أنها تتبع عشيقاً. ويأتي نسر أبيض ويرمي كهان اليهود في الفرات ويعود ليوقع الخراب والنار على القدس. هنا ينتهي هذا الجزء.

يستنتج ليدز بارسكي من هذا الجزء بأن هذه الطائفة كانت في يوم ما قد طردت من القدس وسيقت إلى بابل الجنوبية.

وليس في كتاب حران كويثا أي شيء مما جاء في جزء مريم إلا أنه يصف اضطهاد قوم جبل منداي وكيف تبعهم العدو وذبحهم، ونجاة الباقين. إن الشيء الوحيد الثابت في جميع هذه المتناقضات المشوشة هي حقيقة كون المندائيين يعتبرون جبل منداي موطنهم الحقيقي وأن جنوب بابل محل لجوئهم وأن القدس لم تكن مركزهم الأصلي.

إن صلة نبوخذ نصر غريبة، ولكنها ليست بدون فائدة. يظهر في كتاب"دانيال" أنه في بلاط الملك الفارسي كانت جماعة معينة من اليهود وكانوا نباتيين، وبعقائد ليست بعيدة عن عقائد الأسينيين. وهنا تأخذ قصة نبوخذ نصر أهميتها والقصة التي تحكي لنا نباتية نبوخذ نصر(يأكل حشائش الحقول). إن الجنون والسير على أربع يظهر بما يشبه تفسير الكهان الأرثوذوكس، ومن الممكن أيضاً أنه في يوم ما يمكن أن يكون بختنصر قد مال إلى العقائد الإيرانية. وأنه عاد أخيراً إلى عقيدة

الدولة الأساسية(دانيال (٤) ٣٣- ٣٦). ان نفوذ زوجته الميدية يمكن أن يكون قد أثر في انحرافه هذا.

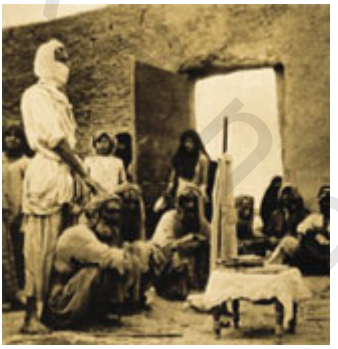

التشبيهات في النصوص المندائية

{{وكما تجري المياه في الأنهار تدفقت الدُموع من عينيك}}

{{إن الرحمة وجدت بعيداً عن العنف، اقتلع الآن الرائحة الكريهة من دارك؛
ولسوف يهبُ عليك نسيمٌ مشبع بالأريج}}

{{كمن ينتظر موسم الحصاد في حقل لا زرع فيه}}

obeikandl.com

التشبيه عملية دمج بين محسوس أو ملموس موجود وبين تخيّل أو تصّور لشيء غير موجود في الطبيعة لكنه يدرك بالعقل [الخلق]أو إنتاج رؤية مشتركة أيضاًحية يمكن معها الركون إلى نتيجة التشبيه لئلا تختلط الرؤى على المتلقّي وبذا تضيع الفائدة المبتغاة منها .

في كتاب {{مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريّا {عليهما السلام} كمٌ هائلٌ من التشبيهات والأمثال وردت لتقرب صور المشبّه بالمشبّه بهِ لنستوعبها ولتكون منطلقا "لتحقيق الغاية المطلوبة العظة سلباً كانت أم إيجاباً ؛لأن العظة إمّا للترغيب أو للترهيب وبالتالي سيكون هناك عقاب أو ثواب ؛ اندفاع لتحقيق غاية، أو كبح لأنفسنا كيلا نقع في براثن الشر وبالتالي سيكون العقاب بدلاً من الثواب المرتجى والمنتظر ؛ فما جزاء الإحسان إلا الإحسان وما جزاء الشر إلا الكراهية . في النص الثالث نقرأ {وكما تجري المياه في الأنهار تدفقت الدموع من عينيك} إنه وبحق تشبيه رائع وتصوير بليغ، مبالغ فيه كثيراً [استغفر الله إن أسأت التعبير] لكن هذه المبالغة هي بالتأكيد ما أريد من هذا النص لتأكيد الحال المقصود لإظهار شدة ندم [يوشامن] وما فكّر فيه، وما نجم عن هذا التفكير ؛ فندم حين لات مندم وظلّ أسير {التنهدات} عند باب {سوفات}. ولولا هذا التشبيه الأرضي المحسوس لدينا (بالنظر) لما استطعنا أن ندرك مقدار الندم الذي أحسّه [يوشامن] وبالتالي لن ندرك كم عانى والنتيجة والهدف من هذه المعاناة، إلا إننا وبفضل هذا التشبيه فهمنا الدرس وما يتوجب علينا عمله لاحقاً.

{{إن الرحمة وجدت بعيداً عن الغضب ؛اقتلع الآن الرائحة الكريهة من دارك ولسوف يهب عليك نسيم مشبع بالأريج}}

لنتساءل هنا : هل الرحمة شيء ملموس أو محسوس، أهي مما يمكن أن يكون شيئاً يمكن أن نلمسه بأصابعنا أو نشمّه بانوفنا أو نتذوقّه بلساننا أو نراه بعيوننا أوهي مما نسمعه بآذاننا ؟ بالتأكيد ما لم تدركه حواسنا وتعطيه السمت واللون والصوت والطعم والرائحة ستكون الإجابة [لا] فما لا تدركه حواسنا يصل إليه [العقل] ليجلو كنهه ويعرف ماهيته فالدماغ الذي وهبنا إياه الواهب الأوحد ليكون هادينا وناصرنا وبه نتعرف على الخالق الذي ليس له مثيل . والنبي يحيى

{ع} أراد لنا أن نقرّب ما خفي علينا بأن أورد لنا تشبيهاً مما يحيط بنا من محسوسات ندركها بإحدى حواسنا ؛ لذا شبّه الرحمة بشيء مخالفٍ لها ألا وهوالعنف.

فالعنف شيء نستطيع أن نجلو سره بأفعال يمكن أن تصدر عنا أو عن الآخرين وهي شيء معكوس للرحمة والتسامح، والرائحة الكريهة يمكن أن نميّزها بأن نشمها وبذا نعلم مدى حقارة أو عظمة الشيء الذي تصل رائحته إلينا، و لتأكيد المعنى فإن شيئاً آخر يجعلنا نقف ونتأمل ألا وهو كلمة (اقتلع) فهل الرائحة مما يمكن أن{يقتلع} أو يجتث لينقطع عنا خبثه أو طيبته ؟أكيد سيكون جوابنا بالنفي . لكن ولكي نتمكن من استيعاب الغرض أو الهدف من إيراد هذا التشبيه فالعبارة القادمة ستحل علينا بلسماً يحمل في طياته ما أُريد لنا أن نفهمه ونتعظ به لتصبح أيامنا هانئةً وتصير لياليا هادئةً لا يعكّرها شيءٌ؛ فما أروع أن تهبَ علينا النسائم المشبعة بالأريج، العبقة بعطور الحياة،ا لمليئة بحب الخالق الذي وهبنا الحياة ووهبنا كلَ شيءٍ، إنه على كلِّ شيءٍ قدير.

{كمن ينتظر موسم الحصاد في حقلٍ لا زرع فيه} كم هو رائع هذا التشبيه وكأنه قد [صيغ] ليكون عنوانا" لمسرحيةٍ تتألف من آلاف الفصول التي لن تنتهي، أو أنه سيكون عبارة لجملةٍ واحدة وينتهي النص ؛ لنا أن نقرأ وننتهي أو نقرأ بين السطور وهنا لن نكفّ عن التطلع إلى كلِّ حرف منها دون أن يعترينا الملل بل سيحل علينا نص مفعمٌ بكل ما هو رائعٌ زاهٍ بمعانيه العميقة التي لن تدرك بمجرد القراءة السطحيّة، لنقف هنيهة ونستوعب المعاني الجليلة ونملأ ضمائرنا ونفوسنا ؛ أم نحن كما تعودّنا ليس لدينا [الوقت] لمثلِ هذه الامور التي لم يعد لها مكان في حياتنا الحاضرة التي تتطلب منا الركض السريع والدائم وراء ما يسمّى [لقمة العيش] بئس العيش الذي نعيشه الآن .لا لم يعفُ عليها الزمن؛ فلقد يأتي يوم نندم فيه لأننا لم نعط الآخرة ما تريد ولم نهب يومنا ما مطلوب منّا فلم نخصص منه وقتاً للتأمل والعبادة والاستفادة ؛ كيلا نضطر وقت الضيق لان نرفع أيدينا وأعيننا ورأسنا وكلَ حواسنا إلى السماء ونطلب العون والمشورة والمساندة ونستغفر ربنا لما اقترفناه دون قصد.

حكاية دينية

[اعتاد أحد الآباء أن يُعطي ابنه ما يشاء من نقود، وهذا يبعثرها كيفما يشاء، دون أن يلتفت إلى كلام أبيه بالتروي والادخار، ذات يوم خطر للأب أن يختبر ابنه فاضطره أن يشتغل ؛ فكان حاصل الابن درهماً واحداً وهنا أخذه الأب وأوهم ابنه أنه سيرميه بعيداً وعندها صرخ الابن محتجاً: هذا كدي ولا يهون عليّ ضياعه {ويل للكروش الكبيرة لا تشبع مهما أكلت}

{فإذا وهبتم لا تمنّوا ولا تجهروا، فإن جهرتم مرة فلا تكرروا ذلك وإن أعطيتم بيمينكم فلا تخبروا يساركم}

وفي نص آخر نجد [طوبى] ولأربع مرات لكن نجد[ويل] لعشر! {طوبى للنفس العارفة والقلب العامر،ويل للذي يعطي النصائح ولا ينصح نفسه .. طوبى لمن عمل خيراً وويل لمن عمل شراً .. لتعمل أيديكم الحسنات ولتعطِ الصدقات لترتقوا متطلعين إلى عالم النور} ونص آخر وعلى نفس النمط:

{ويل لمن رزقته الحياة ولم ينتفع برزقه، بل اتخذ الرزق سبيلاً للخطايا.. ويل لصاحب اللسانين الذي يُعطي حكمين متناقضين في قضيةٍ واحدة}

{من صان نقاء النفس ؛ فإن منزله في قمة عالمِ النّور}

مواعظ وحكم منحائية

بشميهون ادهيي ربـــي

كتب المنحائية المقدسة زاخرة بحكم ومواعظ، وبكلمات الحي الأزلي، موصلة مواعظه وتوصياته إلى البشر ليتعظوا ويلتزموا، ليسمعوا ويفهموا أن الحق أحق أن يتبع.

ومن هذه **البوث البوثة** التالية والتي إن تأملناها بعمق وأخذنا منها ما دعانا إليه الحي الأزلي ؛ سنستخلص منها مواعظ وعبراً، ونجد الحي الأزلي إنما هي دعوة صريحة محضة إلى أن نبتعد عن الشر والشطط لئلا نقع في المحظور والزلل الذي لا يمكن لنا أن ننجو منه.

(إنما الشر والعصيان والحمّى الآكلة والسحروالشعوذة رجس من بلد الظلام)

نلاحظ في هذه البوثة وصية هي غاية في السمو والرفعة، إنما يدعونا رب العظمة أن نتقي الشر وأن نبتعد عنه كيلا نقع في التهلكة ونكونن من الخاسرين حيث لاينفع ندم أو عذر فما نهانا عنه الخالق العظيم يجب أن نلتزم به و أن نعطه ما كان علينا واجباً مفروضاً بلا جدال. نعم يجب أن نتحلى به تجنباً لما يمكن أن نتعرّض له في رحلتنا نحو النهايةِ المحتومة حيث لا نأخذ معنا إلا أعمالنا وما اقترفت أيدينا ؛ الخسارة ليست هي خسارة الجسد بل هي خسارة الروح ونسمة الحياة التي وهبنا إياها الحي العظيم، المعظّم بهباته وعطاياه الجزيلة لندرأ عمّا يبعدنا عن مزالق الهوة التي يحذّرنا منها رب العظمة،ولم يكتف من تقدس اسمه بأن نبهنا إلى الشر بل إنه أردفه بآفة أخرى لا تقلّ أهمية ألا وهي العصيان وهذا العصيان ليس عصياناً أرضياً،ليس عصيان المرؤوس لرئيسه ولا هو عصيان المأمور لآمره وليس هو عصيان الابن لأبيه،ألا إنه عصيان من جنس آخر ومن فئة أخرى عصيان ليس له مثيل أو نظير إنه عصيان الضعيف للقوي، عصيان العبد للمعبود، عصيان البشر لخالق البشر، عصيان وأي عصيان ذاك الذي ليس فيه تكافؤ وليس فيه ما يقي البشر من غضب صاحب العظمة الذي ليس لغضبته إلا طريق واحد . أمّا الحمى الآكلة فهي اللظى وهي السعير وهي الويل الذي ينتظرنا نحن الخطّائين الممتلئين خطايا، المبتعدين عن درب الحق، السادرين في الغي والطغيان غير الآبهين بالحساب يوم الحساب العظيم غير مدركين أن ذلك الحساب سيكون قاسياً "عظيم القسوة على من طغى وتجبّر،شاملاً جميع الذين تناسوا أن الله موجود ولا وسيط إليه سوى العمل الصالح ولا شفيع عنده إلا العمل الصالح الجيد المفيد له وللآخرين،العمل الذي لا شائبة فيه، العمل الخالص لمرضاة ربّ العرش العظيم {تقدس اسمه} هو العمل الذي نبغي منه أن نبتعد عمّا يقربنا من تلك النار التي لن تبقي ولن تذر، ويقي وجهنا من الاحتراق ذلاً وانكساراً، العمل الحسن هو الذي نعبر بوساطته بحر الظلمات، بحر سوف العظيم .هنيئاً لمن عمل صالحاً؛ فسيكون الرحمن مخلّصه وشفيعه، وبه سيكون رحيماً.

إن الله لقادر وعلى كل شيئ قدير، سبحان ربّي العظيم، سبحان ربّي علام الغيوب، سبحان ربّي الذي إليه أنيب ضعفي ومن هذا الضعف اتجهت إلى السحرة والمشعّوذين ولقلّة إيماني ولضعف إرادتي طأطأت رأسي الذي خصّه رب العظمة بالحكمة والعلم وسمحت للآخرين أن يسحبوني معهم إلى دار الظلام حيث لا قرار ولا استقرار .

لم يترك لنا رب العظمة ما يجعلنا نحث الخطى نحو المعصية ونحو الهلاك، لم يترك لأنفسنا الضعفية الحجة لنلج منها إلى حيث الخسران المبين ونصبحنّ من القوم الهالكين، أن (تبارك اسمه) ينهانا من الاستماع إلى السحرة والمشعوذين فتركبنا قوى الظلام ونتخيّل أنفسنا أننا نحن السحرة وأننا نحن المشعوذون، ناسين أو متناسين أن الله العلي القدير موجود غير بعيد عنا فيما لو دعوناه وطلبنا منه جلت قدرته المغفرة، إن العلي القدير نهانا عن إتيان السحر والشعوذة لأنها مخربة مدمرة لأنها صادرة عن ذاتٍ شيطانية، ذات من الظلام وجدت، وفي الظلام جبلت وصيغت، فما يصدر من الظلام إلا ظلام لا نور فيه، هو وهم ولكننا نتشبث فيه، هو خيانة لكننا ننساق إليها كما تساق البهائم، هو باطل إلا أننا له محبون وإليه مندفعون، فأي غشاوة تطبق على عيوننا ولا تجعلنا نرى سواء السبيل، وأي صمم يوقر في آذاننا فلا نعود نسمع صوت الحق وندخل في مجاهل الضياع والهلاك . وصية ربانية فهل يصون الذي خلق من دم وتراب تلك الوصية ويحافظ على الأمانة التي تطوق عنقه إحاطة السوار بالمعصم، من منّا صان الأمانة وجعلها نصب العيون والأحداق محافظة المحاجر على العيون، من منّا سمع وامتثل وأطاع، من منّا سمع واستوعب، من منّا؟ ربنا تبنا فاغفر لنا، إنك أنت التوّاب، ربنا إنك أنت الوهّاب فهبنا من لدنك ما تصفو به سرائرنا وأفكارنا، هبنا من لدنك ما يقوّي عزائمنا ويشدّ من أزرنا فنكوننّ من الفائزين، ولك شاكرين وبحمدك لاهجين وببركتك مسبحين وبرحمتك لائذين، لأنك أنت الغفّار وبك نستعين لدحر قوى الظلام والسحرة والمشعوذين .

والحي مزكّي القلوب والنّيـــات

العبر في قصة يوشامين

[يوشامن] الذي كان ملءالعين والبصر، منكسراً منطوياً على نفسه، نادباً حظه وغروره، غير قادرٍعلى الوصول إلى رضا الحي الأزلي والذي جعل ل[يوشامن [مكانة عالية متميزة إلاّ أن هذا الأخير لم يقنع بهذه المكانة وأراد أن يكون في مرتبة أعلى مما هو فيها ومكانة أكثر تميّزاً دون أن يحسب العواقب، و دون إن يدرك إن الحي الأزلي إنما قد وضع كلّ شيء في موضعه الصحيح كيلا تختل الموازين ؛ فيتطلع طامعاً ويحس مغبوناً أنه قد حرم مماهو حقه .الحكمة الإلهية نابعة من مدبر هذا العالم والذي بقدرته تكونت العوالم فكيف ب[أحدهم]الذي تطاول على هذه الحكمة الأزلية وأراد أن يثير المتاعب لا لشيء إلا إنه أراد أن {يشدانتباه الحي الأزلي إليه وليؤكد تفرده}❖١❖ فكانت هذه الفكرة وبالاً عليه وجعلته الخاسر الأوحد . لقد اصبح يوشامن مبعداً عن عوالم النور يجترآلام غربته التي لن تنتهي الا إذا غفر الغفّار الأكبر،بإرادته وحده يكون التكفير عن السيئات.

نجد {يوشامن} نادماً خاسراً وحيداً يحمل وحده هموم غلطته التي أوجدها هو لنفسه والذي كان يقول{ليس هناك من هو أقوى مني} إلا أنه يتدارك فيقول{ولكن هل هناك من هو أتعس مني الآن}❖٢❖ هذا النص الرائع لهو خير دليل على ما كان يحس به يوشامن من تعاسة وحزن؛ فبعد أن كان في عوالم النور ذا مكانة لائقة نجده يقبع عند باب{سوفات}منفياً ومعاقباً لأنه "ركب ظهر الغطرسة والخيلاء"❖ ٣❖وكنتيجة حتمية لهذه الغطرسة وعدم الاعتراف بفضل الحي الأزلي بوجوده {فبات ضوؤه المتكامل ظلاما" وأفعاله خاسرة}❖٤❖ إذن الرحمة والنقمة ضدّان لا يظهران إلا لمن ملك قدرة على منحهما،وإنزالهما على من يستحقهما، وهنا كان مانح الرحمة تقدس اسمه ومازال موجوداً.

إن {يوشامن}حينما يخلو إلى نفسه وهو جالس عند باب{سوفات} وحيداً حائراً خائر القوى ولا يجد من يناصره ويسانده ويشد من أزره ويرشده إلى

الطريق القويم وهو الذي منح التعاليم التي لا حدود لمعرفة مكوناتها إلا بقدرة ملك النور، إلا أننا نجده يقول {أنا يوشامن أفكر في الضوء والوضوح والتفاسير، أفكر في تعاليم لا حدود لها، تعلمتها من الكتاب الأول، أفكر في الأقوال التي وهبني إياها أبي} ❖٥❖ إذن هو يعترف أن معرفته ما كانت إلا هبة من الوهاب لا هبة تدانيها، إلا أنه وكمن استفاق من غيبوبة أو حالة كان فيها خارج الوعي والإدراك السليم يبدأبالتالي يتساءل كيف حدث هذا الامر الشنيع، ولماذا حدث ؟ وهاهو يشعر بالحيرة والندم لما قد اقترفه بحق نفسه فيقول{كيف تجرأت على إثارة هذا الصراع ؟} ❖٦❖ وأي صراع هذا الذي أثاره ولاحقاً ندم عليه إنه صراع غير متكافئ، غير متوازن بين خالق ومخلوق ؛ خالق له القدرة على كل شيء ومخلوق ليس له إلا التفكير المحدودالعقيم والذي لا يؤدي بصاحبه إلا إلى التهلكة والخسران المبين، وإلا فما الذي دفعه لأن يفكر في {إثارة صراع}فالحي الأزلي موجود عارف بكل أمور الدنا التي وجدت بقدرته وبمشيئته وجعلها تدور وتسير بنظام وانتظام لايتقدم ولا يتأخرمنها شيء إلا بإرادته{تجلّت قدرته}فسبحانه وتعالى ما أن{علم} أن يوشامن {فكر} في التعالي والتفرد حتى أمر {لتحجب أعمال يوشامن إن يوشامن أصبح من الخاسرين} ❖٧❖ . مجرد التفكير الساذج كان كفيلاً بأن يطيح به وينزله إلى أحط الدركات، بعدأن كان في أعلى درجات القرب من الحي الأزلي. وما أن أنزل {يوشامن} إلى هذه الدركة {حتى بدأضوؤه يخفت} ❖٨❖ فلقد قال له رسول الحي العظيم {انهض من عرشك واقتعد الأرض} ❖٩❖وبقوله هذا اتضح ليوشامن عمق الهوة التي قذف إليها والدرك الذي أنزل إليه لأنه أصبح أسيراً فلقد قال رسول الحياة{لقد أسرك صراع الحياة} ❖١٠❖ بينما كان يضعه في سجنه الذي لن يطلقه منه إلا واهب الحياة والمقدرة . ثم هاهو رسول الحي العظيم يخبره {قد خيّم الظلام على بيتك وستبقى على هذه الحال حتى يشفق عليك الحي الأزلي} ١١❖إلا أن الرحمةسرعان ما تكون هي المعول الذي يهدم النقمة وبها سيعود {يوشامن} إلى سابق عهده؛فهاهو {أنصاب زيوا}يتوسل إلى الحي الأزلي لأن يصفح عن الخاطئ القابع {عندباب سوفات، وفي صحن سجنه غارق في التنهدات ؛فبات لا يقوى على التفكير} ❖١٢❖إذن من اعتدَّ بنفسه وقال{ليس هناك

من هـو أقـوى منّي} ❖١٣❖ينبري من يدافع عنه دون علم منه ؛شفقة" عليه وكيلا يظل يردد {أنا منزل الاحزان،وحدي أحمل الهموم} ❖١٣❖ويطلب /انصاب زيوا/من رسول الحي العظيم {إذهب يارسول الحياة وكلم ملك النور العظيم عن يوشامن الواقف عند باب سوفات ؛ ليمنحه الصوت المتدفق من فمه حريةً وأملاً في الحياة} ❖١٤ ❖ويستجيب ملك النور لتوسلات أنصاب زيوا ، ويقرر أن يصفح عن المستغفر التائب الراجع إلى الطريق القويم نادماً خاسراً ،بيدأن الحي الأزلي المملوء رحمةً ومغفرةً يقول لرسوله {اذهب ليوشامن وثبت قلبه،وقل له الحي الأزلي من غرسك ؛فلن يجعلك وحيداً} ❖١٥❖ .

يوشامن الغارق في خضم أحزانه لم يعلم ان رحمة من سبحانه وتعالى قد حلت عليه وأن الرحمن الرحيم قد غفر له ما تقدم من ذنب فنجده يقول:{هل هناك أحد مثلي تخلى عنه حتى الأبناء، ليس ثمة أصداء لنداءاتي، وليس هناك من مجيب، {لقد أصبحت كشجرةأرز سامقة تحيطها الأشواك} ❖١٦❖إن هذا التشبيه الرائع في صياغته الجامع لكل المعاناة التي حاقت بيوشامن في اللحظة التي أحس فيها أنه القوي فسقط في المحذور نتيجة غطرسته واعتداده بنفسه،مثله مثل شجرة الأرز فعلى الرغم من أنها شجرة عملاقة معمرة سامقة،عالية عما يحيط بها من أشجار،متميزة بشكلها ومتانتها، إلا أنها ومع كل ذلك الجبروت الذي تظهر عليه،فهي غير مثمرة، غير منتجةلذا فإنها غير ذات فائدة وبالتالي هي أقل مرتبة من باقي الأشجار المثمرة، ومع كل هذه الضخامة والتفرد فانها محاطة{بالاشواك} ترى أي اشواك تلك التي تحيط بهذه الأرزة ؟ أهي أشواك حقيقية أم استعارة أريد بها التعبير عمن يحيط بيوشامن والذي كان يحثه على التباهي والتفاخر وبالتالي يشجعه على المعصية وإبعاده عن طريق الحق ؟ إن أول هؤلاء العصاة {النفس} الأمارة بالسوء والتي كثيراً ما تشير على صاحبها بغير ما يعتقد وتبعده عن الطريق السوي ويصبح بذلك فريسة سهلة للشيطان الغاوي بما تزينه له بأنه الأقوى والأجدر، وبذايكون مغالياً في تقدير قوته الذاتية . لقد كان يوشامن يؤمن بأنه مهما فعل من أفعال ؛ سويةً كانت أم غير سوية فلن يكون هنالك عقاب لأنه مازال صغيراً ، {كان أبي يقول إن الحياة العظمى لا تأبه للصغار، وإن الصغار ليسوا مسؤولين عن

أخطـــائهم وإن الآبـــاء لا يكرهـــون الأبنـــاء}❖١٧❖ إلا أنـــه تناســـى أن هـــؤلاء الصغار يكبرون ويصبحون آباءً بدورهم، ومع كل ما بدر منه، إلا أن الحي الأزلي يخبره عن طريق رسوله {إن الرحمة وجدت بعيداً عن العنف}❖١٨❖{إن تفعل خيراً تجد خيراً وإن تفعل شراً تجد الكراهية}❖١٩❖ فأي نصيحة سماوية تلك التي أوصلها رسول الحياة العظمى إلى يوشامن ومنه إلينا نحن البشر الخطاة والذين لن يسد أفواهنا إلا التراب .

والحي مزكي الأعمال

obeikandl.com